الدكتور علي الوردي

اسطورة الأدب الرفيع

www.ketab.ir

دار كوفان للنشر
توزيع دارالكنوز الأدبية
ص. ب. ١١/٦٢٢٧
بيروت - لبنان

Second Published in the United Kingdom in 1994
Copyright Kufaan Publishing
P.O.Box 2320 Kensington
London W8 7ZE U.K.

P.O. Box 5182 / 13 Hamra
Beirut / Lebanon

ISBN 1 - 1- 898124 - 05 -3

All rights reserved. No part of this publications may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying recording or otherwise, without prior permission in wiriting of the publishers.

الطبعة الثانية ١٩٩٤

www.ketab.ir

مقدمة

ان هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء ليس كتاباً بالمعنى الدقيق، إنما هو مجموعة من المقالات كتبتها في مناقشة الدكتور عبد الرزاق محي الدين، استاذ الأدب العربي في دار المعلمين العالية. وقد حاولت في اول الأمر نشرها في إحدى الجرائد المحلية، ولكن الجريدة استصعبت نشرها تباعا يوماً بعد يوم، فاضطررت من جراء ذلك إلى نشرها في هذا الكتاب.

ولهذه المقالات قصة يجدر بالقارىء معرفتها، إن لم يكن عارفاً بها من قبل. وقد بدات القصة منذ بضعة اشهر حيث كنت قد نشرت في جريدة الحرية بعض المقالات نعيت فيها على الأدباء تمسكهم بالتقاليد الأدبية القديمة وقلة اهتمامهم بما يحدث في هذا العصر من إنقلاب اجتماعي وفكري عظيم. فهبّ الأدباء من جراء ذلك هبة واحدة، واخذوا ينتقدونني ويتهجمون، ويصولون ويجولون. فلم أجد بداً من الردّ عليهم من مناقشة الآراء التي جاءوا بها.

ولا يسعني هنا ان أعيد نشر ما قلت وما قالوا. فذلك امر يطول ويتشعب. ولست ادري ماذا ابقي منه وما اذر. ولسوف اقتصر في هذا الكتاب على إعادة نشر مقالات الدكتور محي الدين وحدها، تلك التي نشرها في جريدة البلاد وكان لها صدى بين القراء لا يستهان به.

ومقالات الدكتور هذه، والحق يقال، من خير ما كتب في الموضوع. فهي تمثل وجهة نظر جديرة بالدرس والعناية. واحسبها لاتخلو من أصالة. وقد رايت من المجدي ان يطلع القارىء عليها كاملة قبل ان يباشر بقراءة مقالاتي التي جاءت

www.ketab.ir

بعدها. ولعل القارىء سيجد في هذا الإختلاف بين وجهتي النظر سبيلاً إلى إستيعاب الموضوع والتعمق فيه.

وارجو ان يعلم القارىء قبل كل شيء اني لم اقصد بهذا الكتاب مغالبة الدكتور محي الدين او مبارزته. فليس يهمني ان اغلبه او يغلبني. ورب غلبة حاضرة تؤدي إلى هزيمة منكرة في نهاية المطاف.

سوف اطرح آراني إلى جانب آرائه، ثم اتركها للزمان ليحكم لها او عليها. والزمان غربال جبار يبقى فيه ما ينفع الناس، ويختفي منه الزبد والحثالة.

* * *

سيلاحظ القارىء اني اسهبت في آرائي وتبسطت فيها. ولعلني ذهبت فيها مذهب من يريد التفهيم والتوضيح لا مذهب من يريد الغلبة في الجدال. وهذا هو ديدني في كل كتاب اخرجه للناس. فانا واثق بان الذي أريد مجادلته لا يقتنع بما اقول ولو جئت له بالشمس في رابعة النهار، كما هو شان الإنسان في كل زمان ومكان. ولهذا فإني سأهتم بالقارىء اكثر مما اهتم بالمجادلة، ولسوف اعنى بتبسيط الراي اكثر مما اعنى بتزويق بيانه وزخرفة الفاظه.

وارجو المعذرة من صديقي محي الدين حيث اتخذت من مناقشة آرائه وسيلة للإستطراد، ولعلني ابحث من وراء ذلك في آراء بعيدة كل البعد عن آرائه. واشعر بان هذا الأمر ضروري بالنسبة لي. فلو قصرت كتابي هذا على مناقشة آرائه وحدها لكان املي في رواج الكتاب ضعيفاً.

فالقارىء الحديث مشغول بهموم يومه، ولا يبالي ان يشهد مناقشة بين إثنين لا مصلحة له فيها. وهو يقرا الكتاب لكي ينتفع منه او يتلذذ به. وإني لأدرك هذا فيه، ولهذا تراني اسعى في كتبي لكي انال رضاه واعطيه المنفعة واللذة قدر المستطاع.

إني تاجر، ولا باس عليّ في ذلك، هناك فرق كبير بين التاجر الأمين والتاجر الغشاش الذي يبيع الناس اغلفة براقة لا تحتوي في داخلها على شيء مفيد.

* * *

وصفني احد الأدباء في العام الماضي باني تاجر، وظن انه وصمني بذلك وصمة لا

www.ketab.ir

خلاص لي منها، حيث ستسير بها الركبان في كل مكان ، ويتحدث عنها الرواة، كما كانوا يفعلون بشتائم جرير والفرزدق.

هو لا يدري بان الزمان قد تغير، وإني افتخر بان اكون في كتبي تاجراً، إذ لا استحي أن اكون كصانع الأحذية وبائع البطيخ اقدم للناس ما يرغبون به او ينتفعون.

عجيب امر هذا الرجل وامر امثاله من ادباء السلاطين. فهم يمجّدون الشعر الذي يتزلف إلى المترفين ويقتات على فضلات موائدهم، وهم قد يعتبرونه صاحب رسالة فنية ومصباحاً من مصابيح المعرفة. اما الذي يقترب إلى الجمهور بفنه ويكتب له ما يريد فهو في نظرهم تاجر لا خير فيه.

* * *

كان الشعراء قديماً يتقدمون بين يدي السلطان فيلقون القصيدة العصماء يصفونه فيها بانه افضل الخلق طراً وخير من ركب المطايا. وهم يأملون من وراء ذلك بالجائزة الدسمة او الجارية الدعجاء...

إنهم شحاذون ويدّعون بانهم ينطقون بالحق الذي لا مراء فيه والويل لمن يجرا على مصارحتهم بالحقيقة المرة او تكذيبهم فيما يقولون. فهم إنما يذكرون فضائل السلطان عزّ نصره. وهل هناك في الدنيا من يشك في فضل السلطان او انه ظل الله في ارضه.

اعتاد الشعراء على ذلك جيلاً بعد جيل حتى صاروا يغالطون انفسهم ويتظاهرون بانهم رواد الحق والحقيقة وانهم شموع تحترق.

اخرج احد الأدباء من مدة قصيرة كتاباً عن ابي نؤاس قال فيه: "وابو نؤاس واحد من هؤلاء القلائل الذين يتمخّض بهم الزمن بين فترات جد متباعدة، فيملأون اذن الدهر ويكونون الكلمة الخالدة على لسانه. تحفظ الإنسانية ذكره، حفيّة به، حريصة عليه، عانية لجلاله وجبروته. ولو لم يكن ابو نؤاس واحداً من هؤلاء الذين يملأون سمع الدهر لما احتفظ التاريخ باسمه ثلاثة عشر قرناً او تزيد، واغلب الظن انه مالىء سمع الدهر برنينه الباهر قروناً جد كثار مقبلات. ومع هذا الكبر، كان ابو نؤاس واحداً من هؤلاء الخالدين الذين يلمون بالأرض إلمامة قصيرة

ولكنها عريضة ضخمة ثم يرتحلون عنها وقد تركوا من ورائهم ميسم الخلود على جبين الأرض، وزرعوا طريقاً للخلف خصبة ممرعة تمر بها الأجيال من بعدهم فتختلف فيها وتحترب على فهمها وسوغها... " .

انظر ياأخي القارىء إلى هؤلاء الأدباء. فليس يكفيهم أن يدرسوا ابا نؤاس من الناحية الفنية، ويتعلموا منه حسن البيان، إنما يريدون فوق ذلك ان يجعلوه رسولاً يسنُّ للخلق طريق الهدى والرشاد.

ولا عجب أن يمتعض الأدباء من وصمة التجارة. إنهم يتركون ميسم الخلود على جبين الأرض كما يزعمون، ولهذا فهم أجّل وارفع من البقال او الصانع الذي يكسب رزقه بعرق جبينه ثم يموت ويموت ذكره معه.

* * *

وهناك سبب آخر جعل الأدباء يحتقرون مهنة التجارة، هو أنهم عاشوا في احضان الأمراء فاقتبسوا منهم قيمهم الإجتماعية. فالأمير بوجه عام يكره ان يكون كالصعاليك عاملاً كادحاً يكسب رزقه بعرق جبينه. إنه يحتقر الصعاليك ويحتقر الطريقة التي يكسبون بها. وقد حذى الأدباء حذو اسيادهم في ذلك طبعاً.

إن الأمير فاتح او هو من ابناء الفاتحين. فهو يجبي المال بحد السيف. ولا خير في مال يأتيه عن طريق الإنتاج ومبادلة المنافع. إنه ذو نزعة استحواذية كما قال البروفسور فبلن. ومن هنا جاء احتقار المترفين وحاشيتهم لكل تاجر او عامل أو صاحب حانوت.

ومما يجدر ذكره في هذه المناسبة ان الحضارة الجديدة تقوم على اساس غير هذا. فقد اصبح العمل والتجارة رمز الحياة فيها. فالذي لا يعمل لايعيش، وكل إنسان يسعى نحو إنتاج شيء مادي او معنوي فيقدمه للناس لكي يحصل من ورائه على مايعيش به.

* * *

والغريب ان نجد ادباءنا يحتقرون التجارة بينما كان الإسلام يحترمها ويعتبرها اساساً للدين والإيمان. يقول القرآن، " ياايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة

www.ketab.ir

تنجيكم من عذاب اليم." ويقول: "إن الذين يتلون الكتاب واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور." ويقول: "إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتِلون ويُقتَلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك الفوز العظيم."

فالمسألة تجارية إذن. والمؤمن يقدم نفسه وماله بين يدي الله على سبيل المقايضة، والله سيرُد له ما قدّم ويضيف عليه ارباحاً مضاعفة. والظاهر ان المسلمين في عهودهم المتاخرة لم يفهموا كنه هذه التجارة الربانية. فقد صاروا كالشعراء يؤثرون الإستجداء من ربهم بدلاً من المتاجرة معه. ولهذا اخذوا يطمعون بالحصول على الجنة عن طريق الدعاء والعبادة، لا عن طريق العمل والإنفاق. إنهم يحسبون ربهم كالسلطان الذي يتزلف إليه الشعراء بقصائدهم الرنانة. ونسوا ان الله اجل من ان يطربه المدح او يستمليه النفاق.

* * *

مهما يكن الحال، فقد بطلت في هذا الزمن طريقة الإستجداء لكسب العيش، وبطلت كذلك طريقة الإستحواذ بحد السيف. إنما بقيت طريقة واحدة هي ان تنتج لتستبدل إنتاجك بإنتاج غيرك. وقد نجد الآن في بعض زوايا الأرض من لا يزالون يعيشون على الشحاذة. إنهم من بقايا الزمان البائد. ولسوف يأتيهم يوم يسحقهم فيه المجتمع باقدامه ويجعلهم أضحوكة الناس.

رايت ذات يوم تاجراً يبيع السجاد في إحدى المدن الغربية. وكان ناجحاً في تجارته إلى ابعد الحدود. فسألته عن سبب نجاحه فأجاب: "إني لا ابيع السجاد لأحد إلاّ بعد ان ابيعها لنفسي." وكان يقصد من ذلك انه لا يحب للمشتري إلاّ ما يحب هو لنفسه. ولهذا وثق الناس به واقبلوا عليه من حيث تركوا غيره من التجار الذين يحبون لغيرهم مالا يحبون لأنفسهم.

وهذا لعمري شعار ينبغي ان يضعه كل ذي عمل نصب عينيه. إنه شعار يصلح لبائع السجاد كما يصلح لناشر الأفكار. فكلاهما ينال جزاءه بمقدار ما ينتفع

www.ketab.ir

الناس من عمله. ولا مكان في هذا الزمان لتاجر يتكبر على الناس ويقدم لهم ما لا يرغبون فيه.

والمؤسف أن نجد بعض ادبائنا لا يريدون أن يفهموا هذه الحقيقة. إنهم لا يزالون يفضلون الشحاذة على التجارة. فلا بأس عندهم أن يتقدم الأديب إلى أحد السلاطين الأدنياء أو إلى شيخ من شيوخ الإقطاع، فينشد بين يديه قصيدة عصماء أو يكتب في فضائله كتاباً.

اعرف اديباً من هذا الطراز كان ياتي إلى العراق بين حين وآخر، فيلتقط أحد رقعاء الأغنياء، ويظل يتغنج عليه بأدبه المزخرف. والغني الرقيع يقدّم له مالذ وطاب من الخام والطعام. وقد عجبت لمّا رايت هذا الأديب محترماً يقابله الادباء بالترحاب ويقيمون له الولائم والحفلات.

إنهم يمجدُون مثل هذا الاديب في الوقت الذي يمقتون فيه من يبيع افكاره على الجمهور.

لا لوم على الأدباء القدامى حين كانوا يتبعون طريق الإستجداء في ترويج أدبهم، فهم لم يكونوا يجدون لهم سوى هذا الطريق. ولكن اللوم يقع على اصحابنا الذين فتحت الطباعة بين ايديهم طرقاً شتى، بينما هم لا يزالون يجرون على نمط اسلافهم الماضين.

يصدر بعض اصحابنا مجلات ادبية فيملأونها بتمجيد فلان أو فلان من الشعراء القدامى. ثم تموت مجلاتهم تباعاً. فياخذون بالبكاء على مصير الأدب الرفيع في هذا الزمان، ويصبون الرحمات على تلك العصور الذهبية التي كان الأديب فيها مكرماً معززاً.

إنهم يريدون من القارىء أن يكدح طوال يومه ليشتري ما يكتبون أو يتحذلقون. فإذا وجدوه يفضل شراء مجلات السيقان العارية على شراء مجلاتهم، انحوا عليه باللائمة وامطروا عليه الويل والثبور. وما دروا انهم اولى باللائمة منه.

وليت شعري هل كان الشعراء القدامى الذين يمجدهم أصحابنا وينسبون إليهم العبقرية افضل او ازكى خلقاً من اصحاب المجلات الخليعة. ولو فرضنا ان ابا نؤاس

www.ketab.ir

بعث حياً في عصرنا هذا ثم اصدر مجلة ادبية، فماذا تراه صانعاً بها؟ ارجح الظن انه سيملؤها بصور الأرداف بدلاً من صور السيقان...

ولا احسب ان جريراً او الفرزدق سيفعلان خيراً من ابي نؤاس في ذلك. فمجلتهما ستمتلىء بالشتم البذيء وصور العورات المكشوفة كما لا يخفى على القارىء اللبيب.

لست اريد بهذا ان ادافع عن المجلات الخليعة، إنما اريد ان ابين المفارقة المفضوحة التي يقع بها بعض ادبائنا حين يحتقرون الصور الخليعة، بينما هم يحترمون الشعر الخليع. وارجح الظن انهم يتمتعون برؤية تلك الصور سراً ثم يرفعون عقيرتهم بعدئذ لانمين حانقين.

المفروض في الأدباء ان يكونوا في الناس امّةً وسطاً، فلا يتزلفون إلى المترفين، ولا يخاطبون غرائز المراهقين. إن لهم وظيفة في الحياة كبرى، وهم قادرون ان يقدموا للناس ما ينفعهم ويلذ لهم في آن واحد. وتلك هي التجارة التي لا تبور.

* * *

وإني إذ اقدم كتابي هذا بين يدي القارىء، أود ان يعلم بأني لست من اولئك الذين يتباهون عليه بالأدب الرفيع ثم لا يقدّمون له سوى الألفاظ الرنانة، فلقد تعبت في تاليف هذا الكتاب كما تعبت في غيره، وسهرت فيه الليالي، وبحثت في المراجع من اجله كثيراً.

ولا انكر مع هذا انه مملوء بالعيوب، وفيه من التكرار والتطويل ما يبعث على السام. ولكن هذا هو مبلغ جهدي، ولست بقادر على ان افعل غير ما فعلت...

وصف احد الادباء كتبي السابقة بانها كجبة الدرويش ليس فيها سوى الرقع. واظن انه سيصف كتابي هذا بمثل ذلك. ولست ارى في ذلك بأساً. فخير لي ان اكون رقّاعاً اخدم الناس باللابس المهلهلة، من اكون خياطاً ممتازاً اصنع اللابس المزركشة التي لا تلائم اجساد الناس ولا ينتفع بها احد.

www.ketab.ir

انتشارات نورگیتی

هوية الكتاب
اسم الكتاب : اسطورة الادب الرفيع
المؤلف : على الوردى
الناشر : نورگيتى
المطبعه : باقرى
تاريخ النشر : ۱۳۸۴
الكميه : ۵۰۰۰ نسخة
القطع : وزيرى
السعر : ۱۵۰۰ تومانا

☆ اسطورة الادب الرفيع
☆ د. علي الوردي
☆ الطبعة الثانية 1994
☆ دار كوفان لندن
☆ جميع الحقوق محفوظة

www.ketab.ir

الفهرست

الاهداء 5

مقدمة 7

مقالات الدكتور عبد الرزاق محي الدين 15

المقالة الأولى 17

المقالة الثانية 25

المقالة الثالثة 33

المقالة الرابعة 37

المقالة الخامسة 43

مقالات المؤلف: 47

المقالة الأولى: الأدب والاجتماع 49

المقالة الثانية: مشكلة تبسيط اللغة 56

المقالة الثالثة: المعاني والبيان 63

المقالة الرابعة: الشعر والشذوذ الجنسي 71

المقالة الخامسة: بين المحاسن والمساوىء 79

المقالة السادسة: بين اللفظ والمعنى 85

المقالة السابعة: شاعرية العرب 91

المقالة الثامنة: الشعر والدراسة الاجتماعية 98

المقالة التاسعة: قريش والشعر 105

www.ketab.ir

المقالة العاشرة: الاسلام والشعر 113
المقالة الحادية عشرة: حقيقة الشعر الجاهلي 119
المقالة الثانية عشرة: خصائص اللغة العربية 128
المقالة الثالثة عشرة: معجزة القرآن 135
المقالة الرابعة عشرة: عقدة النحو العربي 144
المقالة الخامسة عشرة: إلى متى ننفخ في الرماد؟ 149
المقالة السادسة عشرة: أصل الإعراب 154
المقالة السابعة عشرة: وظيفة الإعراب 159
المقالة الثامنة عشرة: واضع النحو العربي 166
المقالة التاسعة عشرة: النحو والشعر 177
المقالة العشرون: النحو والمنطق الارسطوطاليسي 183
المقالة الحادية والعشرون: اللغة والتمايز الطبقي 193
المقالة الثانية والعشرون: قصة النثر العربي ـ 1 203
المقالة الثالثة والعشرون: قصة النثر العربي ـ 2 212
المقالة الرابعة والعشرون: غربة أديب 222
المقالة الخامسة والعشرون: الجاحظ وأبو حيان 230
المقالة السادسة والعشرون: الأدب السلطاني 238
المقالة السابعة والعشرون: مفهوم الأدب الرفيع 246
المقالة الثامنة والعشرون: نقّاد الأدب 254
المقالة التاسعة والعشرون: نموذج آخر 263
المقالة الثلاثون: نموذج ثالث 273
المقالة الحادية والثلاثون: الضجة والمجتمع 282
المقالة الثانية والثلاثون: كلمة الختام 293

www.ketab.ir